

(١) كتاب "تاريخ البطاركة" أو "سير البيعة"

لقد اشتهر ساويرس بن المقفع، وصار معروفاً بواسطة كتابه "تاريخ البطاركة"^(١) والذي أصبح المصدر الوحيد في الغرب الذي كان يستخدم لمعرفة تاريخ العصر الوسيط للمسيحية في مصر، وذلك بعد أن نقله رنودو Renaudot إلى اللاتينية. وعلى كل حال، يرجع الفضل إلى ساويرس بن المقفع بسبب التمهيد وتجميع المواد، لأن التدوين والتكملة قد جاء بعد ذلك. فإنه - طبقاً لما تقوله المقدمة - قد جمع خلال ثماني سنوات، أخبار ومعلومات عن البطاركة السالفين، وذلك من أديرة بريّة شيهات ومصر العليا ومدينة الإسكندرية. وقد وجد تلك الأخبار مدوّنة بالقبطية في معظمها، وبعضها باليونانية. ولقد عاونه كثيرون في ترجمة هذه المعلومات إلى العربية، يخص بالذكر من بينهم: الشّماس ميخائيل بن بدير الدّمهورى، وبعضها عربّه ساويرس بنفسه، إنما دون أن يصل بكتابه على وحدة عضوية، وبدون أن يحتمه بأي شكل من الأشكال.

إكمال الكتاب بواسطة مؤلفين آخرين

وأول من أكملوا الكتاب المشار إليه، ممّن نعرف أسماءهم، هو ميخائيل أسقف تيس الذي ألف سنة ١٠٥١ م تاريخ بطاركة الحقبّة الواقعة ما بين سنة ٨٨٠ م وسنة ١٠٤٦ م.^(٢)

وفي سنة ١٠٨٨ م بدأ موهوب بن منصور بن مفرّج شمّاس الإسكندرية^(٣)، في تجميع مُسوّدات ساويرس المنتشرة في بلاد مختلفة، وجعل منها كتاباً واحداً، نجده في مخطوط^(٤) بمكتبة مدينة هامبورج^(٥). حيث يضم المخطوط سير ٤٦ بطريكاً، آخرهم هو خائيل الأوّل البطريرك السّادس والأربعين (المتوفى سنة ٧٦٧ م).

وقد استبدل موهوب بن منصور، في وقت لاحق، المقدمة التي كان ساويرس قد ألفها، بأخرى من تأليفه هو. كما أضاف سيرة القديس مرقس الرسول التي كانت تنقص. وقد انتشرت هذه النسخة بعد إجراء بعض التعديلات اللغوية والتحوّية، وأصبحت بمثابة النصّ الشائع المتناقل، لسير البطاركة. وتجدد الإشارة إلى أنّ موهوب بن منصور قد أضاف سيرة معاصره البطريرك خريستوذولوس (١٠٤٦-١٠٧٧ م).^(٦)

ومن بعده أضاف يوحنا بن سعيد بن يحيى بن مينا الملقّب بابن القلزمي^(٧)، سيرة البطريرك كيرلس الثاني (١٠٧٨-١٠٩٢ م)، وخلفائه ميخائيل الرابع (١٠٩٢-١١٠٢ م)، ومكارىوس الثاني (١١٠٢-١١٢٨ م).

وأضاف مرقس بن زرعه^(٨)، سير البطاركة الثلاثة اللاحقين: غبريال بن تريك (١١٣١-١١٤٥ م)، وميخائيل الخامس (١١٤٥-١١٤٦ م)، ويوانس الخامس (١١٤٦-١١٦٦ م). أمّا كتاب سير الثلاثة بطاركة اللاحقين، وهُم: مرقس الثالث

1. PG and AP 15.

٢- وهذه السير التي تضم تاريخ عشرة بطاركة، منشورة في:

"تاريخ البطاركة"، طبعة جمعية الآثار القبطية، المجلد (الثاني)، الجزء (الثاني)، ص (٧٠-١٦١).

Cf. also, Renaudot *HP.*, p. 327, 418.

3. Renaudot *HP.*, p. 418.

4. Graf G., *Geschichte*, II, p. 302.

5. Codex 304 (Or. 26, 4^o).

أي: مخطوط مجلّد (كودكس) رقم (٣٠٤) يشمل عدّة مخطوطات معاً. والمخطوط المقصود من بينها، هو المخطوط رقم (شرفيات ٢٦)، وأوراقه من قطع الربع، أي القطع الصّغير.

٦- وهنا يُفصر جراف عمل موهوب بن منصور على إعداد مقدّمة للسير بدلاً من مقدّمة ساويرس، وكتابة سيرة خريستوذولوس. أمّا لويس شيخو، في كتابه "المخطوطات العربية لكتبة النّصرانية"، (ص ١٩)، وكامل صالح نغله، الحلقة الأولى، ص (٣٦-٣٣) فيعتبرانه مكمّلاً لعمل

ساويرس بن المقفع، وكتابت لسيرة خريستوذولوس ال ٦٦ وكيرلس الثاني ال ٦٧

انظر: الأخ وديع الفرنسيسكاني، "مقدّمة في الأدب"، ص ١٣

7. Renaudot *HP.*, p. 467-468.

8. Renaudot *HP.*, p. 500, 514.

(١١٦٦-١١٨٩م)، ويؤانس السَّادس (١١٨٩-١٢١٦م)، وكيرلس الثالث بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م)، فأسماءهم غير معروفة^(٩). ولكننا نعرف أن كاتب سيرة آخر هؤلاء البطارقة هو يوساب أسقف فوه.

ولقد استخدم كتاب "تاريخ البطارقة" - مع مراعاة قوانين النقد اللازمة - كمصدر رئيسي، ليس لتاريخ الكنيسة المصرية الوطنية، وبالتالي الكنيسة الإثيوبية، والمسيحية في بلاد النوبة، وحسب، بل ليكمل أيضاً المصادر التاريخية لتاريخ مصر السياسي بالعديد من التفاصيل.

وقدم الأب الرَّاهب وديع أبو اللَّيف الفرنسيكاني دراسة عن كتاب سير البطارقة المنسوب لساويرس بن المقفع، بعنوان: "مؤلفو سير البيعة من سير البيعة"، وذلك في التدوة السادسة للتراث العربي المسيحي، سنة ١٩٩٨م. ونشرت هذه الدراسة في مجلة "صديق الكاهن"، في الأعداد الأول والثاني والرابع، أي يناير وأبريل وأكتوبر على التوالي ٢٠٠٥م، السنة الخامسة والأربعون. والأعداد الأول والثاني والثالث والرابع، أي يناير وأبريل ويوليو وأكتوبر على التوالي ٢٠٠٦م، السنة السادسة والأربعون. (❖)

وفيما يلي خلاصة هذه الدراسة، فيما يختص بمؤلفي كتاب "تاريخ البطارقة" على وجه التحديد.

هذا الكتاب الشهير الذي كان يُنسب من قبل إلى الأنبا ساويرس بن المقفع، قد ثبت عدم أصالة نسبه إليه. فالعالم جورج جراف G. Graf لم ينسب إلى الأنبا ساويرس تأليف سيرة أي بطريك^(١٠). وهو نفس ما فعله كامل صالح نخله في كتابه: "كتاب تاريخ وجدول بطارقة الإسكندرية القبط، وجدول علم جامع بين أقوال المتقدمين". فالأنبا ساويرس لا دور له، لا في ترجمة السير، ولا في جمعها، ولا في إكمالها. والسطور التالية هي شرح لهذه الجزئية.

فالكتاب هو من وضع جمهرة من مؤلفين ومترجمين، ومعيدي صياغة للنص. فيشير مؤلفو "سير البيعة" في أماكن شتى من الكتاب، إلى المؤرخين السابقين، ولاسيما عند الانتقال من مؤلف إلى آخر. وللسير الأولى أصل يوناني وقبطي، ولكن يصعب تحديد الأصل لجميع السير، بسبب ضياع بعض هذه الأصول، ووصول البعض ناقصاً في شذرات مبعثرة بين مكاتب العالم.

فالمؤلفون كثيرون، منهم يهود ويونانيون، حيث ترد الإشارة إليهم في مقدمة السيرة الثامنة عشرة الخاصة بحياة خائيل الأول ال ٤٦ (٧٤٤-٧٦٨م). وهذه السيرة وضعها يوحنا تلميذ الأنبا مويسيس. كما ترد إشارة أيضاً إلى هؤلاء المؤرخين في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأول ال ٤٧ (٧٦٧-٧٧٤م) في السيرة التاسعة عشرة، وهي من تأليف يوحنا تلميذ الأنبا شنوده الأول ال ٥٥ (٨٥٨-٨٨٠م).

فالمؤرخون لهذا الكتاب هم:

- مؤرخون مجهولون. أرخوا للأحد عشر بطريكاً الأوائل حتى يوليانوس البطريك ال ١١، وقد اعتمدوا بشكل مباشر على كتاب "التاريخ الكنسي" ليوسابيوس القيصري (٢٦٤-٣٤٠م).
- مؤرخون آخرون: أرخوا لسنة بطارقة من ديمتريوس الأول ال ١٢ إلى بطرس الأول ال ١٧. وقد اعتمدوا على يوسابيوس القيصري السابق ذكره كمصدر، إلى جانب مصادر أخرى.

٩- أمّا القول المتكرر في "تاريخ البطارقة" (Renaudot HP., p. 569) والذي مؤداه أن موهوب بن منصور هو مؤلف سيرة كيرلس بن لقلق، فهو غير صحيح.

١٠- ربما اقتصر دور أنبا ساويرس بن المقفع على جمع سير البطارقة المتفرقة، أو ربما نسخها أيضاً، ولكن بدون أن يترجمها أو يصيغها في كتاب مستقل. وفي ذلك يقول جورج جراف G. Graf "يرجع الفضل إلى ساويرس بسبب التمهيد وتجميع المواد، لأن التدوين والتكملة قد جاء بعد ذلك" (انظر ص ١).

فحياة البطريرك ديمتريوس الأول لها نصٌ يوناني مترجم إلى القبطية، ومنسوب إلى فلفيانوس أسقف أفسس. وقد نشر بدمج Budge النص القبطي مع ترجمة له، في لندن سنة ١٩١٤م، تحت عنوان: ”شهداء الأقباط في لهجة مصر العليا (القبطية الصعيدية)“.

E.A. Wallis Budge, *Coptic Martyrdoms in the Dialect of Upper Egypt*, London, 1914, p. 137-156 ; 391-408

والتوافق بين النصين القبطي والعربي كبير جداً.

وأيضاً حياة بطرس خاتم الشهداء، فالأصل لهذا النص هو مديح بطرس المنسوب إلى خليفته ألكسندروس. وقد نشر هيفرنا H. Hyvernat النص القبطي وترجمه، ونشره في باريس في سنتي ١٨٨٦، ١٨٨٧م، تحت عنوان: ”أعمال شهداء مصر، طبقاً للمخطوطات القبطية لمكتبة الفاتيكان ومتحف بورجيا“.

H. Hyvernat, *Les Actes des Martyrs d’Egypte, tirés des manuscrits coptes de la Bibliothèque Vaticane et du Musée Borgia*, Paris, 1886-1887, p. 247-262, 263-283.

• **مينا الكاتب** (القرن الخامس الميلادي). وهو أول مؤرخ قبطي. ورد ذكره في السيرة الثالثة عشرة عند الحديث عن الأنبا ديسقوروس الأول الـ ٢٥ (٤٤٤-٤٥٨م). ولعله هو الذي أرخ بالقبطية سير البطارقة بطرس الأول الـ ١٧، وألكسندروس الأول الـ ١٩، وأثناسيوس الرسولي الـ ٢٠. وأيضاً أرخ بالقبطية لأربعة بطارقة آخرين من ثاوفيلس الـ ٢٣ إلى تيموثاوس الثاني الـ ٢٦.

وهذا النص القبطي به ثغرات، وقد نشره أورلاندني Orlandi في ميلانو (إيطاليا) سنة ١٩٦٨م، تحت عنوان: ”تاريخ كنيسة الإسكندرية، الجزآن الأول والثاني، نص قبطي مع ترجمة (إيطالية)“.

Storia della Chiesa di Alessandria, vol. I,II, Testo copto, traduzione e commento di Tito Orlandi, Milano-Varese, 1968.

• **الأنبا جرجه** (القرن السابع الميلادي). وهو كاتب الأنبا سيمون الأول الـ ٤٢ (٦٨٩-٧٠١م). وقد ورد ذكره في مقدمة السيرة الثامنة عشرة، الخاصة بحياة خائيل الأول الـ ٤٦ (٧٤٤-٧٦٨م). وهو الذي كتب بالقبطية سيرة الأنبا بنيامين الأول الـ ٣٨ وأكملها أغاثون خليفة بنيامين.

وقد نشر كوكان Coquin النص القبطي، مع ترجمات عربية له، ونشره في القاهرة ١٩٧٥م، تحت عنوان: ”كتاب عن تكريس مذبح بنيامين. النص القبطي البحيري وترجمته العربية“.

Livre de la Consécration du Sanctuaire de Benjamin. Texte copte bohairique et versions arabes, édités par R.G. Coquin (Institut Français d’Archéologie Orientale, Bibliothèque Copte, 13), Le Caire, 1975.

• **اثنان من الكتاب باسم مقاره** (القرن الثامن الميلادي). وهما: أباً مقاره، ومقاره الرَّاهب. حيث يرد ذكرهما في بداية الحديث عن الأنبا مينا الأول الـ ٤٧ (٧٦٧-٧٤٤م)، في السيرة التاسعة عشرة.

• **يوحنا تلميذ الأنبا مويسيس** (القرن الثامن الميلادي). وهو كاتب السيرتين (١٧، ١٨)، وتشملان أربعة بطارقة، ألكسندروس الـ ٤٣، وقزما الأول الـ ٤٤، وثيودوروس الـ ٤٥، وخائيل الأول الـ ٤٦، أي خلال ٦٢ سنة (٧٠٥-٧٦٧م).

• **يوحنا تلميذ الأنبا يوساب الأول والأنبا شنوده الأول** (القرن التاسع الميلادي). حيث كان تلميذاً للأنبا يوساب الأول الـ ٥٢ (٨٣٠-٨٤٩م)، والأنبا شنوده الأول الـ ٥٥ (٨٥٨-٨٨٠م). وقد كتب أربع سير (١٩-٢٢)، من مينا الأول الـ ٤٧ إلى شنوده الأول الـ ٥٥، أي خلال ١١٣ سنة (٧٦٧-٨٨٠م).

• **ميخائيل أسقف تيبس** (منتصف القرن الحادي عشر الميلادي): كاتب ثلاث سير (٢٣-٢٥) بالقبطية، وتشمل عشرة بطارقة، من خائيل الثالث الـ ٥٦ إلى شنوده الثاني الـ ٦٥، أي خلال ١٦٦ سنة (٨٨٠-١٠٤٦م).^(١)

١- وقد نشر الأخ وديع الفرنسيسكاني، دراسة عنه بعنوان: ”الأنبا ميخائيل أسقف تيبس، مؤرخ الكنيسة القبطية في العصر الفاطمي“،

• **موهوب بن منصور بن مفرّج الإسكندراني** (أواخر القرن الحادي عشر الميلادي). وقد قام بجمع السير السابقة وإعادة صياغتها. وهو كاتب السيرة (٢٦)، وتشمل بطريكين فقط، هما **خريستوذولوس** الـ ٦٦، و**كيرلس الثاني** الـ ٦٧، وتشمل ٤٥ سنة (١٠٤٦-١٠٩٢م).

• **يوحنا بن صاعد القلزمي الكاتب** (القرن الثاني عشر الميلادي). نسخ السير السابقة. وتدخّل في نصّ حياة **خريستوذولوس** الـ ٦٦، و**كيرلس الثاني** الـ ٦٧، ويضع السيرة (٢٧)، وتشمل بطريكين هما **ميخائيل الرابع** الـ ٦٨ (١٠٩٢-١١٠٢م)، ومقاراه **الثاني** الـ ٦٩ (١١٠٢-١١٢٨م).

وما تلاهم من مؤرّخين تابعوا مسيرة التأريخ^(١٢).

وأما المترجمون، أي من قام بترجمة بعض السير من اليونانية أو القبطية إلى العربية، فمن أشهرهم:

• **الشماس ميخائيل بن بدير الدمنهوري**. والذي ترد أوّل إشارة عنه في المقدمة الرابعة للكتاب، ويتكرّر ذكره في نهاية الحديث عن **الأنبا سيمون الأول** الـ ٤٢ (٦٨٩-٧٠١م). وكان معاصراً لموهوب بن منصور. وقد قام بترجمة بعض السير إلى العربية. وكان معاونون له في الترجمة، اثنان هما:

• **القس زكير**.

• **تادرس بن بولس أو يوانس**.

٨- وهناك دراسة أخرى قدّمها الدكتور صموئيل القس فُزمان معوّض، قسم القبطيات، جامعة مونستر (ألمانيا)، عن الكتاب، وذلك في مجلّة "مدرسة الإسكندرية"، السنة الثانية، العدد الثالث، سبتمبر-ديسمبر ٢٠١٠م، ص (٢١٧-٢٤١) تحت عنوان: "كتاب تاريخ البطارقة باللّغة العربية". (❖)

ووصل فيها إلى نفس النتائج تقريباً التي توصل إليها الرّاهب وديع أبو اللّيف الفرنسيكاني، في دراسته السّابق ذكرها (في البند ٧). (❖)

وجدير بالذكر أنّ الدكتور صموئيل القس فُزمان معوّض، كان قد نشر في مجلّة "مدرسة الإسكندرية"، السنة الثانية، العدد الثاني، مايو-أغسطس، ٢٠١٠م، ص (٢٠٩-٢٤٠) نصّ كتاب "تاريخ الكنيسة باللّغة القبطية الصّعيدية، مترجماً إلى اللّغة العربية". وهو أوّل كتاب تاريخ معروف حتى الآن في الكنيسة القبطية. متميّن له مزيداً من التّرجمات من القبطية الصّعيدية. (❖)

وذلك في دورية "دراسات شرقية مسيحية"، مجموعة ٣١

SOC., Collectanea 31 (1998), p. 1-30

١٢- مثل: (❖)

• **البابا مرقس بن زرعه**، الذي أرّخ لسيرة البابا غبريال بن ثريك (١١٣١-١١٤٥م)، والبابا خائيل الخامس (١١٤٥-١١٤٦م)، والبابا يوحنا الخامس (١١٤٦-١١٦٦م).

• **مؤرّخ مجهول** (١٢٠٧م)، أرّخ لسيرة البابا مرقس بن زرعه (١١٦٦-١١٨٩م)، والبابا يوحنا السادس (١١٨٩-١٢١٦م).

• **مؤرّخ مجهول من المحلّة** (١٢٢١م)، أرّخ بقية سيرة البابا يوحنا السادس.

• **يوحنا بن وهب**، وأرّخ لسيرة البابا كيرلس بن لقلق (١٢٣٥-١٢٤٣م).

انظر: دكتور صموئيل القس فُزمان معوّض، مجلّة "مدرسة الإسكندرية"، السنة الثانية، العدد الثالث، سبتمبر-ديسمبر ٢٠١٠م، ص ٢٤١